الاستعمار والرجعية ينفذان اكبر مؤامرة على امتنا

في عهد الوحدة[1] كانت الطليعة العربية الثورية تعيش اعمق واعنف ازمة في تاريخ نضالها. لقد اسهمت في صنع حدث تاريخي عند قيام الوحدة بين مصر وسورية. واذا هي تصاب بعد زمن قليل بخيبة امل كبرى نتيجة التشويه والتزييف اللذين داخلا تطبيق هذه الوحدة. ولقد زاد ازمة الطليعة العربية حدة وتعقيدا ادراكها بعد فوات الوقت انها لم تكن في مستوى الخطوة التي اسهمت في تحقيقها، وانها لم تكن مهيأة لتصحيحها وحمايتها. ولكن ذلك لا ينقص شيئاً من مسؤولية نظام الحكم الذي كان سبب التشويه والانحراف. ومن اسباب صعوبة تلك الازمة وتعقدها ان ذلك الحكم كان قد استطاع قبل تحقيق الوحدة وبهذا التحقيق بالذات. ان يكوّن لنفسه رصيدا من الثقة الشعبية على نطاق الوطن العربي كله لم يسبق ان توافر لحاكم من قبل. وهكذا مرت سنوات عهد الوحدة في جو من الالتباس الخطير. فالجماهير عاجزة عن ان تنظم نفسها وتلم شتات وعيها أمام الضغط الهائل للاجهزة البوليسية واجهزة الدعاية التي كانت تفتت التنظيم والوعي على حد سواء. وكان في نفس الطليعة العربية، المقهورة امام وسائل الدولة الضخمة، خوف عميق، تتمنى ايصاله

---

(١) جريدة البعث، العدد ١، ٢١ تموز ١٩٦٢.

الى كل فرد عربي واشاعته بين الجماهير. خوفاً على المستقبل العربي كله من ان يتخذ ذلك السبيل الزائف ويبنى على تلك الأسس الواهية. كما كان في نفس الطليعة العربية حرص عميق على بقاء الوحدة وعلى امكان معالجة الاخطاء والانحرافات التي شابت تطبيقها، لايمانها بان الوحدة العربية يجب ان تبقى حركة تاريخية جدية. ولا يجوز ان تكون كغيرها من المشكلات السياسية المحلية عرضه لتقلبات السياسة وأخطاء الحكم.

ولكن التمادي في الاخطاء، من جهة، وتآمر قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية، من جهة اخرى، قد عرضا تلك الخطوة التاريخية لانتكاسة قاسية. ووقع الانفصال قبل ان تتاح للطليعة ان تتصل بالجماهير وان توصل اليها خلاصة تجربتها مع ذلك الحكم، بغية ان يدفعها وعي هذه التجربة الى الضغط وتصحيح الاخطاء دون التفريط بالوحدة. وهكذا نشأ وضع جديد يحمل في طياته تناقضات العهد السابق وتناقضات جديدة. فالقوى الاستعمارية والرجعية والشعوبية التي عملت منذ اليوم الاول للوحدة على تهديم الوحدة، وجدت في الانفصال الذي غذته، فرصة العمر لها، تغتنم ما فيه من يأس وتشتت وفقدان للتنظيم الشعبي، وتتخذه مناسبة نادرة لتسديد ضربتها وسط بحران الشعب وضياع اهداف المعركة، ولتهيئة شروط في سورية والبلاد العربية تنتفي معها لأمد طويل امكانية قيام وحدة جديدة. وبذلك تحاول ان تجعل من الانفصال حقيقة ايجابية تحل محل الوحدة وتقتلعها من جذور ضمير الشعب العربي كفكرة وعقيدة.

وخطورة الانفصال هي في كونه وضعا جديدا يستمد مقوماته وطبيعته من فشل تجربة الوحدة وليس هو ـ كما قد يظن ـ مجرد عودة الى اوضاع التجزئة التي كانت قائمة قبل الوحدة. فالتجزئة في ذلك الحين لم تكن سوى ذلك الواقع المريض الذي كان يتراجع يوما بعد يوم أمام يقظة الوعي الشعبي. ولقد كانت التجزئة واقعا لا يتضمن فكرة ولا يجرؤ ان يكون له اسم او منطق، كانت واقعاً منفصلا مشتتا يقف موقف الدفاع امام فكرة الوحدة وتيار الوحدة الذي كان هو التيار الفعال النشيط المهاجم المتماسك.

واليوم بعد ان تحققت اول وأثمن تجربة للوحدة، وبعد ان فشلت هذه التجربة يمثل الانفصال تجزئة من نوع جديد. ترتكز الى اسس ومنطق ومبررات، وتوحد قواها التي هي قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية والشعوبية لا لتواجه اي احتمال لقيام وحدة جديدة فحسب. بل لتلاحق فكرة الوحدة والقوى الوحدوية وتدمرها في كل مكان. فالانفصال هو تحقيق التجزئة اي جعلها حقيقة وحقا. انه محاولة تريد ان تجعل من فشل تجربة الوحدة شيئاً يدحض الوحدة من اساسها ويعطي البرهان العملي على ان واقع التجزئة اصيل أبدي وأن وجود الكيانات العربية المستقلة هو الوجود النهائي الخالد.

امام هذا الواقع وجدت الطليعة العربية نفسها مطالبة بواجبين وبأن تخوض معركتين في آن واحد: المعركة الاولى هي الدفاع عن الوحدة ضد الانفصال والقوى المعادية للامة العربية التي تريد ان تكرسه وتخلده. الدفاع عن الوحدة وفكرتها وواقعيتها وقابليتها للتحقيق، والدفاع عن تقدميتها وارتباطها بمصلحة الجماهير وعن جديتها وضرورة وضعها فوق الظروف العابرة وفوق الانفعالات والاحقاد.

وأما المعركة الثانية فهي التي لم تتمكن الطليعة العربية من خوضها في حينها، اي معركة تصحيح اخطاء التجربة الاولى للوحدة، تلك الاخطاء التي لا بد من الكشف عنها ونقدها لكي يبقى وعي الشعب سليما ويكون المستقبل العربي في مأمن من الضلال والخطأ.

فلقد كنا زمن الوحدة امام نظام للحكم يمثل من حيث ضخامة وسائله وتأثيره على الجماهير العربية ونزوعه الى الامتداد والسيطرة والشمول شيئاً جديداً في حياة العرب. لقد كنا نواجه نظاماً جديداً كل الجدة يختلف اختلافاً كاملا عما عرف قبله من انظمة: فهويتمتع برصيد شعبي ضخم. وهوقادر بفضل اجهزته الضخمة ان يزيد من هذا الرصيد ويصل الى قناعة عشرات الملايين من ابناء الشعب العربي، ليعطيهم بفضل هذا كله صورة عن القومية والنظام الاجتماعي والوحدة، فيها تشويه اساسي وانحراف خطير رغم ما يخالطها من بعض الصفات التقدمية وما يكمن وراءها من كفاءة وقدرة على الانجاز. وجوهر هذا الانحراف مايتصف به الحكم من فردية

وتأليه للحاكم والغاء لدور الشعب واستعاضة عن الشعب الحقيقي الواعي المنظم بالغوغاء والفئات المرتزقة والمتملقة، وما اعطاه للقومية العربية من مفهوم منحرف يقيم في صلبها بذور التمييز الاقليمي والتسلط. فالوحدة التي هي امل الشعب العربي كله لم تفهم ولم تطبق من قبل نظام حكم الوحدة الا على انها وسيلة لتوطيد هذا النظام في الاقليم المصري ولمد نفوذ هذا الاقليم على سائر اجزاء الوطن العربي. ولقد كانت ضربة الانفصال جديرة بان تهز اعماق كل مخلص للوحدة ولقضية الشعب العربي، ولكنها لم تغير في عقلية النظام واسلوبه شيئاً، وظلت دعوته للوحدة في البلاد العربية وفي سوريا خاصة، مسخرة لهدف اساسي هو حماية نفسه في مصر، وفي هذا استمرار في الاساءة الى قضية الوحدة واعطاء اسلحة جديدة لاعدائها لكي يطعنوها ويطعنوا من خلالها حرية الشعب ومكاسبه الاجتماعية التي حققها بالنضال الطويل.

ان اخطاء وانحرافات حكم الوحدة تتخذ اليوم ذريعة وستارا لتنفيذ اكبر مؤامرة على الامة العربية في تاريخها الحديث يحيكها الاستعمار والصهيونية بالتعاون مع الرجعية والشعوبية على نطاق الوطن العربي كله. وادهى ما فيها انها هذه المرة تعمد الى تفتيت جسم الامة من الداخل بالانقسام والتناحر والتشكيك في العقيدة القومية بكل الاساليب والوسائل. ولما كانت الطليعة العربية الثورية هي القوة المهيأة والمسؤولة تاريخياً عن رد كيد هذه المؤامرة الرهيبة لتواصل امتنا العربية سيرها الصاعد المنتصر نحو اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية، لذلك وجب ان يزال كل التباس يمكن ان يجزىء تفكير هذه الطليعة ونضالها في سبيل هذه الاهداف، ووجب بالتالي ان ينقد نظام حكم الوحدة نقدا موضوعيا صريحا لكي ينتزع هذا السلاح من ايدي الرجعية وتفوت عليها فرصة ضرب الاهداف القومية والمكاسب الشعبية وتخليد الانفصال وتنفيذ مؤامرات الاستعمار بحجة مكافحة الدكتاتورية والحكم الفردي. وعندما يزول الالتباس من صفوف الطليعة المخلصة، ويتوضح امامها الطريق، طريق الوحدة بمحتواها الشعبي الديمقراطي وبارتباطها الوثيق بالحرية والاشتراكية.

وعندما تتضح امامها مهمتها في هذا الظرف العصيب، وهي التغلب على نكسة الانفصال وما تلاها من ردة رجعية شرسة، يصبح امر انحراف افراد قلائل عن الركب الثوري بدافع الكسب السياسي الشخصي او الانجراف مع الاحقاد الشخصية، امرا غير ذي بال. المهم ان تعي الطليعة العربية دورها التاريخي وان تقوم به. ولقد برهنت الطليعة على هذا الوعي عندما اقامت تنظيمها ونضالها، قبل عشرين عاما، على نطاق الوطن العربي كله، وتحدت بذلك العقلية الاقليمية والانتهازية، والمكاسب الآنية. ولا يعقل ان ينتكس ايمان الطليعة بالوحدة العربية وايمانها بوحدة تنظيمها ونضالها، اذ انها هي المطالبة بمداواة النكسة والابقاء على شعاع الفكرة في وجه العواصف. فما دامت النكسة عميقة والاخطار جسيمة ومداهمة، وكل موقف اما ان تتناوله القوى الرجعية لتستغله في تكريس الانفصال وضرب قضية الشعب. واما ان تتناوله اجهزة الحكم الفردي لتخلق الالتباس حول الوحدة ومفهومها في اذهان الشعب، فليس امام الطليعة العربية الا ان تجدد معنى الرسالة التي ندبت نفسها لها قبل عشرين عاماً، عندما ارادت ان تمثل، من فوق الحدود الاقليمية، والمصالح المحلية المؤقتة، ضمير الامة الواحد، ومصلحتها العليا الدائمة. ولئن كان واجب الطليعة ان تدخل في هذا الظرف معركتين في آن واحد، فمن واجبها ايضاً ان تظهر من الوعي والتجرد ما يرفعها فوق المعترك.

٢١ تموز ١٩٦٢